IX
309
19

نهج البردة

INSTITUT DOMINICAIN
D'ETUDES ORIENTALES
★ Le Caire ★
No. d'inv. 21.159
Cote IX 309 19

نظم

أحمد شوقي

شاعر الحضرة الخديوية

وعليه

وضح النهج

شرح

مولانا الاستاذ الاكبر شيخ الجامع الازهر

الشيخ سليم البشري

الطبعة الاولى

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

١٣٢٨ هجرية و ١٩١٠ ميلادية

طبع بمطبعة الاصلاح بشارع محمد علي بمصر

ابراهيم فوزى

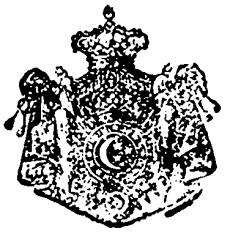

«المليك المعظم مولانا الحاج عباس حلمي الثاني »

« مولاي »

« رآى الله لهذا العبد الخاضع شاعر بيتك الكريم أن يمشي »
« بنور العلم الفرد المغفور له (البوصيرى) صاحب القصيدة الشهيرة »
« (بالبردة)في مدح خير الأنام عليه الصلاة والسلام . فنظمت هذه الكلمة »
«التي أسأل الله وأرجو من رسوله قبولها وجعلتها يامولاي لحجتك »
« المبرورة (تذكارها —١٣٢٧) كلما تناقل الناس أخبارها . وقد تفضل »
«مولانا الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر (الشيخ سليم البشرى)»
« فتكفل بشرحها للناس . فدخلت البركة على أبياتها من كل مكان »
« وحسن قبولها من المليك نهاية الابداع والاحسان»

« عبدكم »

« شوقى »

بسم الله الرحمن الرحيم

فاتحة الكتاب

لحضرة محمد بك المويلحي

الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على سيد المرسلين وعلى آله الطيبين الطاهرين وبعد فان الشعر ضرب من ضروب القول يتسع لكل غرض ويتناول كل مطلب . والسابق فيه من يذهب به فنونا ويتشعب له القول فيه شعوبا. وقد سبق لفحول الشعراء المتقدمين أنهم لم يتركوا سبيلاً من المقاصد إلا سلكوه ولاباباً من أبواب المعاني إلا طرقوه . فبينا ترى الشاعر منهم يتنزل فى شعره فيصنع قصيدته فى وصف الفرس الأعوجيّ والبعير المهريّ والحمار الأخدريّ والقطا الكُدريّ إذا هو يعلو صُعُداً في تقرير الحقيقة وتمجيد الفضيلة وتدوين الحكمة وضرب المثل. ولا يزال ما قالوه الى اليوم جديداً على الدهر . ولقد وهم من قال عنهم إنهم قصروا أشعارهم على حد من القول محدود وداروا به فى مجال من المعنى محصور وانهم قصّروا أن يحيطوا بمتّسع الأغراض فى مظاهر الحضارة وعجزوا عن الالمام بما يتدرج فيه نظام البشر من سموّ المدارك وعلوّ المقاصد فأجهدوا خيالهم واستنفدوا أقوالهم فى أوصاف الإبل ونعوت الخيل وما لنا اليوم وللقول فى تلك الابل وللكلام عن هذه الخيل وأمامنا عجائب البخار وغرائب الكهرباء !

ولكن لم يكن ذلك منهم عن عجز فقد استوعبوا القول وأجادوا الوصف

حتى انه ليخيل لنا من أشعارهم أنهم تجاوزوا أزمانهم الى أزماننا وتناولوا فى طريق مبالغتهم وإغراقهم مايدور اليوم بين أيدينا ويُصنع أمام أعيننا . و من ذا الذي توصل منا الى الآن أن يصف سرعة القطار بمثل ماوصف به متنبي الغرب سَبْقَ الخيل فى قوله :

وَأجَلُّ عِلْمِ البرْق فيها أنّها * مَرَّتْ بجانِحتَيْهِ وهْي ظُنُونُ

أو قول أعمى المعرة :

ولما لَم يُسابقْنَ شيءٌ * من الحيوانِ سابقْنَ الظّلالا

ولا يقال إن باللغة ضيقاً لايتسع لمجال القول في مستحدثات هذه الأزمان فان اللغة العربية وسعت كل شيء فى كل زمن وهذه كتبها المجفُوَّة تشهد لمن يطلع عليها بسعة المادة دون كل لغة وإنما إهمال النظر فيها هو الذي دعا الى هذا الوهم وحدَا الى ذلك الزعم

وإذا كان الشاعر منهم اشتغل بوصف كلب الصيد فى شعره فقال مثلا :

أنْعَتُ كلباً أهْلَهُ فى ودّه * قد سعدَتْ جُدُودُهم بجدّه

فكلُّ خيرٍ عندهم من عنده * يَظَلّ مولاهُ له كعبْدِهِ

يبيتُ أدْنَى صاحبٍ من مهده * وإن غدَا جلّلهُ ببُرْده

ذو غُرَّةٍ مُحجَّلٌ بزَنْدِهِ * يلُذُّ منه العينَ حسنُ قدّه

يَاحُسْنَ شدْقَيْهِ وطولَ خدّه * تلْقَى الظّباءُ عَنَتاً من طرْدِه

يَشربُ كأساً شدُّها فى شدّه * يالك من كلبٍ نَسيجُ وحْدِه

إذا هو يقول فى مناجاته لربه مالم يقله أعظم مشرّح من أطباء الأفرنج ممن يتناولون الشعر اليوم :

يامن يرى مد البعوض جناحهُ * في ظُلمة الليل البهيم الأليل
ويرى عروق نياطها في نحرها * والمخ في تلك العظام النحّل
اغفرْ لعبدٍ تاب من فُرُطاته * ما كان منه في الزمانِ الاوّل

وإذا صرف غيرُد شعره الى وصف الثعبان مثلاً فقال :

أهوَى الى باب جُحرٍ في مُقدَّمه * مثلَ العسيبِ ترى في رأسه نزعا
اللونُ أربدُ والأنيابُ شائكةٌ * عُصلٌ ترى السم يجري بينها قطعا
أصمُّ ما ثَمَّ من خضراءَ أيبسَها * أوثمَّ من حجرٍ أوهاهُ فانصدعا

فان سواه من علماء الكلام والتوحيد يقول مالم يقل مثله « فلاماريون » حكيم الفرنساويين اليوم وشاعرُهم الفلكيّ في سر الوجود وخفاء ماهية النفس :

والله لاموسى ولا عيسى المسيح ولا محمّدْ
علموا ولا جبريل وهو الى محل العرش يصعَدْ
كلاّ ولا النفسُ البسيطةُ لا ولا العقلُ المجرَّدْ
مِن كنهِ ذاتك غيرَ أنّك واحدىُّ الذات سرمدْ
وجدوا إضافاتٍ وسلباً والحقيقةُ ليس تُوجَدْ
ورأوْا وجوداً واجباً * يفنى الزمان وليس ينفدْ
فانخسأ الحكماء عن * حرمٍ له الأفلاكُ تسجُدْ
مَنْ أنت يارسطو ومَنْ * أفلاط قبلك يامُبلَّدْ
ومَن ابنُ سينا حين قرّ * رَ ماهُديت له وشيّدْ
هل أنتمُ إلا الفرَا * شُ رآى الشهابَ وقد توقّدْ
فدنا فأحرق نفسَهُ * ولو اهتدَى رشدا لأبعدْ

وقوله :

قد حار فى النفس جميعُ الورى * والفكرُ فيها قد غدا ضائعا
وبرهنَ الكلُّ على ما ادَّعوْا * وليس برهانٌ لهم قاطعا
مَنْ جهلَ الصنعةَ عجزاً فما * أجدَرَه أن يجهلَ الصانعا

فالشاعر المجيد من أهل هذا العصر من لم يهمل الأخذ بطريقة المتقدمين فى شعره . ولن يتمَّ له الاحسان فى قول الشعر إلا باحتذاء حسناتهم والعمل على شاكلتهم

ولقد وُفّق بحمد الله شاعرنا هذا احمد شوقي الى سلوك هذا السبيل فى شعره فلم يقتصر على قرض الفريض فى ماتجري عليه الأحوال فى عصرنا الحاضر بل سار على نهج المتقدمين وانتحى مناحيَهم فى فنون الشعر واقتدى بهم فى هذه القصيدة بما يسمونه بالبديعيات فى مدح رسول الله صلى الله عليه وسلم فبلغ أوج الإجادة ووصل الى أعلى طبقات القريض وهي قول الحق وتقرير الصدق فتمّ له بذلك الإحسانُ المعنىُ فى قول الشاعر :

وإنّ أحسنَ بيتٍ أنت قائلهُ * بيتٌ يقال إذا أنشدتَه صدقا

والشعر إذا كان على هذا الضرب تشاغل به العلماء وتنافس فيه الحكماء وأنزله أهلُ التقى والدين وأصحابُ الورع واليقين منزلته من الإجلال والإعظام فلا بدع إذنْ أن انبرى لشرح هذه القصيدة مولانا الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر وهو من علمتَ سموُّ مكانته وعلوّ درجته أدباً وعلما ووقاراً وحلما وفهماً وإفادة وتقى وعبادة وورعا وزهادة وأولئك لهم الحسنى وزيادة

وإذا كان الشعراء عرفوا مواضع السجود فى الشعر عند إنشاد قصائدهم بمجلس الخليفة فى محضر العلماء حين وصل أحدهم عدي بن الرقاع فى إنشاد قصيدته الى قوله يصف ولد الظبية وشبوبَ قرنه :

تُزْجِي أَغَنَّ كَأَنَّ إِبْرَةَ رَوْقِهِ * قَلَمٌ أَصَابَ مِنَ الدَّوَاةِ مِدَادَهَا

خرّوا كلهم ساجدين استحساناً للبيت فلما آخذهم مَنْ حضر من العلماء قالوا لهم لاتؤاخذونا إنا نعرف مواضع السجود فى الشعر كما تعرفون مواضع السجود فى القرآن — فان لمولانا الشيخ شيخ العلماء أن يقول اليوم ونحن أيضاً نعرف مواضع الصدق فى الشعر فنحفل به ونتقبله بأحسن قبول ولا يكون عندنا أبداً من مكروهه الوارد ذكره فى الآيات البينات بل يكون من مستثناه فيها فان المقصود من الآية فى الشعراء بقوله تعالى : « والشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الغَاوُونَ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِى كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَالَا يَفْعَلُونَ » هم أهلُ الكذب وفضولِ القولِ وأربابُ الهجاء وتمزيقِ الأعراضِ والقدحِ فى الأنساب والنسيبِ بالحرم والابتهارِ ومدحِ من لا يستحق. ولا يستحسن ذلك منهم ولا يطرب على قولهم إلا الغاوون السفهاء . وقيل هم الشعراء الذين كانوا يقولون نحن نقول مثل قول محمد وكانوا يهجونه ويجتمع اليهم الأعراب من قومهم يستمعون لهم أشعارهم وأهاجيهم مثل عبد الله بن الزبعري وَهُبَيْرَةَ وأبى عزة الجمحي فهم أهل فتنة وباطل . ومن يهيم منهم فى مجاوزة حد القصد حتى يفضاوا أجبن الناس على عنترة وأشحهم على حاتم وأن يبهتوا البريَّ ويفسقوا التقيّ . ثم قال تعالى بعد ذلك « إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللهَ كَثِيراً

وَانتَصَرُوا مِن بعدِ مَا ظُلِمُوا » فاستثنى الشعراء المؤمنين الذين إذا قالوا شعراً قالوه في توحيد الله والثناء عليه والحكمة والموعظة والزهد والآداب الحسنة ومدح رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه وصلحاء الأمة ومالا بأس به من المعاني التى لايتلطخون فيها بذنب ولا يتلبسون فيها بوزر ولامنقصةٍ وكان هجاؤهم على سبيل الانتصار ممن يهجوهم . قال تعالى « لاَ يُحِبُّ اللهُ الجَهْرَ بالسُّوءِ مِنَ القَوْلِ إلاَّ مَنْ ظُلِمَ » وذلك من غير اعتداء ولا زيادة على ماهو جوابٌ لقوله تعالى « فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ » . وعن عمرو بن عبيد أن شريفاً من العلوية قال له إن صدري ليجيش بالشعر فقال فما يمنعك منه فيما لا بأس به

وجملة القول أن الشعر باب من أبواب الكلام فحَسَنُهُ كحسَن الكلام وقبيحُه كقبيح الكلام . وكان عليه الصلاة والسلام يقول لحسان وهو ينافر عنه « قل وروح القدس معك »

والقول كذلك في تفسير الآية « وَما عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَه إنْ هُوَ إلاَّ ذِكْرٌ وقُرْآنٌ مُبِين » أنه ما علّمه بتعليم القرآن الشعرَ على معنى أن القرآن ليس بشعر وما هو من الشعر في شيء وأين هو عن الشعر والشعر إنما هو كلام موزون مُقفًّى يدل على معنًى فأين الوزن وأين التقفية وأين المعاني التى ينتحيها الشعراء عن معانيه وأين نظم كلامهم عن نظمه وأساليبه فإذن لامناسبة بينه وبين الشعر إذا حققت . « وَما يَنْبَغِي له » وما يصح له ولا ينطلب لو طلبه أي أنه جعله عليه الصلاة والسلام بحيث لو أراد قرض الشعر لم يتأتَّ له ولم يَتَسَهَّلْ كما أنه جعله أميًّا لا يَتَهَدَّى للخط ولا يحسنه لتكون الحجةُ أثبت والشبهةُ أدحض . وعن الخليل «كان الشعر أحب الى

رسول الله من كثير من الكلام ولكن كان لا يتأتى له »
وإن قصيدةً تُصنع فى مدح الرسول وتوضع تذكاراً لحج المليك ويكون شيخ الاسلام شارحها وشاعر الأمير قائلها

من اللاتى أمدَّ بهنَّ طبعٌ وهذّ بهنّ فكرٌ وانتقادُ

لهي جديرة بأن تنحني لها الرؤوس إعظاماً وإكبارا . وتُحنىَ عليها أحناء الضلوع ضنًّا بها وإيثارا . وتستضيء بنورها البصائر . وتُعقد على نفاستها الخناصر . وتشغف بها القلوب فتضمها فى الشغاف . وتنطوي الصدور على حفظها طيّ الغلاف . ويتلوها العلماء والأدباء بترنح الأوصال وهزة الأعطاف . ويتهادونها بينهم أبدعَ ما فى باب الإتحاف والألطاف . والله يتقبلها من قائلها قبولا حسنا وينفع المسلمين ببركة شارحها نفعاً جما وهو ولينا ونعم المولى ونعم النصير

محمد المويلحى

رِيمٌ على القَاعِ بَيْنَ البَانِ والعَلَمِ * احَلَّ سَفْكَ دَمِي فِي الاشْهُرِ الحُرُمِ (١)

---

(١) (الرئم) بالهمز ويخفف بقلب الهمزة ياءً الظبي الخالص البياض والجمع ارآم وفى لسان العرب . « وقلبوا فقالوا آرام » اه فهو كبئر وآبار قلبوا فقالوا أأرام على وزان أعفال ثم سهلت الهمزة الثانية فقلبت الفاً جريا على القاعدة من أنه أذا وقعت همزة ساكنة اثر همزة متحركة قلبت من جنس حركتها — (القاع) الارض السهلة المطمئنة التى لاحزونة فيها (البان) جمع بانة ضرب من الشجر — (العلم) الجبل — (الاشهر الحرم) اربعة ثلاثة متتابعةوهي ذو القعدة وذو الحجة والمحرم وواحد فرد وهو رجب

وكانت العرب لاتستحل فيها القتال فاذا هي اوفت بهم اغمدوا سيوفهم ونهضوا الى أسوا قهم فتعاملوا فيها وتناشدوا الشعر ومشى القرن الى قرنه مسالماً كأن لم يكن بينهما بالامس دم، ولم يطلب احدهما صاحبه بوتر، وكذلك كان حكمها فى الاسلام ثم نسخ ومضى فيها حل القتال. وقال عطاء بعدم النسخ وحرمة القتال فيها وهو ضعيف

المعنى — ان المحبوبة السانحة فى ذلك الموضع كأنها الظبي فى حسنه ورشاقته قد قتلته صبابةً بها وولهاً عليها وأسرفت عليه حتى انها استحلت دمه فى الشهور التى تحقن فيها الدماء ويحرم فيها القتال حتى بين الموتور والواتر ويمشى فيها السلم بين المثؤور والثائر

وفى الشطر الثانى الطباق بين قوله « أحل » وقوله « الحرم »

ولايذهب عن القارئ ما فى البيت من براعة الاستهلال

رَمَى القَضاءُ بعَيْنَيْ جُؤْذَرٍ أسَدًا * يَاسَاكِنَ القَاعِ اَدْرِكْ سَاكِنَ الأَجَمِ (١)
لَمَّا رَنَا حَدَّثَتْنِي النَّفْسُ قَائِلَةً * يَاوَيْحَ جَنْبِكَ بالسَّهْمِ المُصِيبِ رُمِي (٢)

---

(١) (الجؤذر) ولد البقرة الوحشية ـ (الأَجَم) جمع اَجَمَة الشجر الكثير الملتف وهو مسكن الأسد

يريد (بالجؤذر) تلك المحبوبة التى شبهها فى البيت السابق « بالريم » تشبيهاً لها بالجؤذر فى جمال عينيه واتساعهما . ويريد (بالاسد) نفسه لما له من شجاعته واقدامه

المعنى — ان المحبوبة رمته من عينيها النجلاوين بمثل ما يُرمَى عن القوس من السهام . وقد وصل تلك الرمية « بالقضاء » تقريراً للعقيدة الصحيحة من ان كل واقع بقضاء الله تعالى وقدره . وفى الشطر الثانى يستغيث للمقتول بالقاتل — لامنه — ويستنجد للاسد بالغزال! وهو بديع

(٢) (رنا) يرنو رُنُوًّا والرنوّ ادامة النظر مع سكون الطرف

و(ياويح) كلمه تقال لمن وقع فى الشدة والمكروه يستنجد له بالرأفة والرحمة مما وقع فيه . قال الازهري « الفرق بين ويح وويل ان ويل تقال لمن وقع في هلكة أو بلية لايترحم عليه وويح تقال لكل من وقع في بلية يرحم ويدعي له بالتخلص منها » قال « وأصل ويح وويس — كلمة رأفة واستملاح — وويل كله عندى وي وصلت بحاء مرة وبسين مرة وبلام مرة

المعنى — يقول انه احسَّ عندما سدد الحبيب نظره اليه بانه قد ملكَ عليه لُبَّه وان سهم لحظه قد مَضَى الى صَميم قلبه . وتطلَّب لجنبه — لانه

جَحَدْتُهَا وَكَتَمْتُ السهمَ فِي كَبِدِي * جُرْحُ الأَحِبَّةِ عِندِي غَيرُ ذِي أَلَمِ (١)
رُزِقْتَ أَسْمَحَ مَا فِي النَّاسِ مِنْ خُلُقٍ * إِذَا رُزِقْتَ التِمَاسَ العُذْرِ فِي الشِّيَمِ (٢)

مثوى القلب — الشفقة والمرحمة مما أخذ فيه من الوجد وشاع فيه من الصبابة

(١) (جحدتها) الجحود الانكار مع العلم

المعنى — لم يتشكّ من تلك الرمية بل لم يعالج استلال السهم من كبده وزعم أنه لم ينله ألمٌ من اثر ذلك السهم الذى انتظم كبده تنزيلا للألم منزلة عدمه مادامت صراميه عيون الاحبة . قال الشاعر :

« فما لجرحٍ اذا أرضاكم ألم »

وقديماً كان ذلك شأن العشاق فيما ينزل بهم من آلام الوجد والهوى لا يطلبون أسباب السلامة منها بل تراهم يتطلّبون زيادتها لانها من لوازم الحب ولا خلاص لهم منها الا بخروجهم منه

روي أهل الادب ان مجنون بنى عامر لما أدنفه حب ليلى انطلق به الى البيت الحرام نفرٌ من أهله وقالوا له لو تعلقت باستار الكعبة فدعوت الله تعالى ان يبرأك من حبها كنت حقيقاً ان يستجاب دعاؤك فتشبّث بستور الكعبة وقال « اللهم زدنى في ليلى حباً » فجُن من ذلك الحين جنونه وهام في بطون الاودية ومسارب الوحش حتى وافقته منيته

وقال الشاعر

ويا حبها زدنى جوى كل ليلة ويا سلوة الايام موعدك الحشر

(٢) (الشيم) جمع شيمة وهى الخلق والطبيعة

المعنى — يقول ان أنفس الاخلاق واكرم الخلال ان يُطبَع الانسان على التماس

يالائمي في هواهُ والهوى قَدَرٌ * لو شفَّكَ الوجدُ لم تَعذِلْ ولم تَلُم (١)
لقد أنلتكَ أُذْنًا غيرَ واعيةٍ * ورُبَّ منتصتٍ والقلبُ في صممِ (٢)
يا ناعسَ الطَّرْفِ لا ذُقتَ الهوى ابدا * اسهرتَ مُضناكَ في حِفظِ الهوى فنَمِ (٣)

المعاذير للناس فيما تقع عليه نفوسهم مما يحسب من مواضع العيب ومساقط الضعف

والبيت بمثابة التمهيد للبيت الذي يليه كأنه توقع أن يلومه لائم على الحال التى صارت به الى ماذكر من تعرضه للقتل واستهدافه للسهام فقدم بقوله « رزقت أسمح مافى الناس — البيت » فضل الامساك عن اتباع عثرات الناس وطلب عوراتهم . وفصل فى البيت الآتى عذره تفصيلا

(١) (شفه) الوجد هزله وأنحل جسمه

المعنى — يقول يامن يلومنى فى هذا الهوى ما كان لك ان تفعل وهذا شيء قدره الله علي ووصله بقلبي ، ولو انه لحقك الهوى وأخذ فيك الوجد ونالك ما ينال اهله من السقم والوهن ما أسرعت الى العذل واللوم

وقال صاحب البردة في هذا المعنى

يالائمي في الهوى العذري معذرة * مني اليك ولو أنصفت لم تلم

(٢) (انتصت) سكت سكوت مستمع .

وفي الشطر الثاني من البيت الطباق بين قوله «منتصت» وقوله «في صمم»

وقال أصله في هذا المعني

محضتني النصح لكن لست أسمعه * ان المحب عن العذال في صمم

(٣) (الناعس) الوسنان — (الطرف) بالفتح العين — (المضنى)

أَفديكَ آنفاً وَلا آلُو الخيالَ فِدًى * أَغراكَ بالبُخلِ مَنْ أَغراهُ بالكَرَمِ (١)

الذى اثقله المرض و « مضناك » الذى اضنيته بما لحقه من الوله عليك

المعنى — يخاطب معشوقه وقد أخذته عينه فبات لايسهده وجد ولا يؤرقه شغل بهوى على حين لايغشى الكرى مقلتي عاشقه . ويدعو له بالسلامة من الهوى لئلا يناله ماينال أهله من السهد والارق

وفى الشطر الثانى من البيت الطباق بين قوله « أسهرت » وقوله « فنم »

(١) (آلو) الالوُ هنا المنع والتقصير — (أغراه) بالشيء زيَّنه له وحرضه عليه

المعنى — جعل نفسه فدى للمحبوب من المكاره وقال انه لايضن بهذا أيضا على خياله على ماينهما من التباين فى الخلق والعادة لضن الاول وطول تجنيه واحتجابه ، وكرم الخيال بكثرة تردده وطروقه . ولعل « المغرى » لكل منهما — على ماسمعتَ — العشقُ فانه من شأنه ان يبعث المعشوق على النفور والتمنع ولايبرح ممسكا على ظله وصورته فى مخيلة العاشق لا يُفلتُها فى يقظة أو منام . قال الشاعر

أريد لأَنسى ذكرها فكأنما ... تمثَّلُ لى ليلى بكل سبيل

وقال الشاعر

ماسرت الا وطيف منك يصحبنى ... سُرَّى امامي وتأْويباً على اثرى

لوحط رحليَ فوق النجم رافعه ... ألفيتُ ثَمَّ خيالا منك منتظرى

سرَى فصادَفَ جُرْحًا دامِيًا فأسَا * وَرُبَّ فَضْلٍ عَلَى العُشّاقِ لِلْحُلُمِ (١)
مِنَ الموائسِ بَانًا بالرُّبَى وقَنًا * اللّاعِباتُ بِرُوحِ السّافِحاتُ دَمِي (٢)
السّافِرَاتُ كَامْثَالِ البُدُورِ ضُحًى * يُغِرْنَ شَمْسَ الضُّحَى بالحَلْيِ والعَصِمِ (٣)

---

(١) (سرى) السرى المشي في الليل — (أسا) الجرح يأسوه داواه

المعنى — يريد ان طول هجر المحبوب له وانقطاعه عنه قد أسال مُهجته شوقا له وحنينا اليه حتى اذا تطلّع له فى عالم الرؤيا سكن به فؤاده، وَابْتَرَدتْ من تلك اللوعة كبده، وذلك من فضل الاحلام على العشاق فانه اذا فاتتهم رؤية المحبوب يقظة وافقهم طيفه مناما. وربما احتال المهجور على النوم يتوسل به الى لقاء المحبوب والظَّفر بخياله. قال الشاعر

وأخرج من بين الجلوس لعلني أحدث عنك النفس فى السر خاليا
وانى لأستغشى ومابي نعسة لعل خيالا منك يلقى خياليا

(٢) (الموائس) جمع مائسة وهي المتبخترة — (البان) ضرب من الشجر واحدتها «بانة» يشبه القوام باغصانها للدونتها — (القنا) جمع قناة وهي الرمح — (الساخات) سفح الدم سفكه وأساله

المعنى — شبه تثنيهن ولدونة أعطافهن باغصان البان اذا مستها نفحة الصبا. وأبلغ ما يكون ذلك اذا كانت على مرتفع من الارض. وشبههن أيضا بالقنا لدقتها وكثرة اهتزازها واضطرابها فى أيدى الطاعنين

(٣) (السافرات) يقال سفرت المرأة كشفت عن وجهها — (الحَلْيُ) ماتزين به المرأة من مصوغ المعادن وكريم الحجارة والجمع (الحُلِيُّ)

القَاتِلاَتُ بِأَجْفَانٍ بِهَا سَقَمٌ * وَلِلْمَنِيَّةِ أَسْبَابٌ مِنَ السَّقَمِ (١)
العَاثِرَاتُ بِأَلْبَابِ الرِّجَالِ وَمَا * أُقِلْنَ مِنْ عَثَرَاتِ الدَّلِّ فِي الرَّسَمِ (٢)

(العصم) القلائد جمع عصمة كعنب وعنبة

(١) المعنى — يقول انهن يقتلن بعيونهن المرَاض والمرض كثيراً مايُفضى الى الموت ويكون سبباً فيه ! ولايخفى مافيه من حسن التعليل

(٢) (العاثرات) العثرة الزلة والسقطة و «أقاله من عثرته» انهضه منها — (الدل) في الصحاح : الدل قريب المعنى من الهدي وهما من السكينة والوقار في الهيئة والمنظر والشمائل وغير ذلك — (الرسَم) حسن المشي

المعنى — شبه وقوع هواهن في كل قلب صادفنه بالعاثر الذي تزل به قدمه في الطريق الحَزْن . وَجَعْلُ القلوب مجازا لهن واعتراضُها موطئ اقدامهن يخضن فيها ويسلكنها سلوك المتعثر فيقعن في القلب بعد القلب كما يقع العاثر في الحفرة بعد الحفرة من المعاني البديعة

وفي الشطر الثاني جعل لهن من جمال المنْظَر وحسن المشية عثرات ولعله سماها «عثرات» مشاكلة لما في صدر البيت. أو انه شبه تثنيهن وتبخترهن في مشيتهن «بالعاثر» ايضاً اذ كان لهن ماله من الميل والاهتزاز . أو انه اراد التعثر الحقيقي اذ أنهن يتعثرن في ثيابهن لطولها وتثنيهن

ويريد بقوله «وما أقلن» ان ذلك شيء ملازم لهن ،وان عثرات الدل مقصودة بالطبع لا إقالة منها بخلاف سائر العثرات . وقوله «في الرَّسَم» احتراس لطيف

المُضرماتُ خُدُودًا اسفرتْ وجلتْ * عن فتنةٍ تُسلِمُ الأكبادَ للضَّرَمِ (١)
الحاملاتُ لواءَ الحُسنِ مختلفًا * اشكالُهُ وهوَ فردٌ غيرُ منقسمِ (٢)
منْ كلِّ بيضاءَ اوسمراءَ زُيِّنتا * للعينِ والحُسنُ في الآرامِ كالعصمِ (٣)

---

(١) (الضرم) اشتعال النار

المعنى — يقول ان لهن خدوداً كالنار في حمرتها وتوهجها يفتتن بها عقل رائيها وتحرق لها كبد عاشقها

(٢) (اللواء) العلم — و(حمل لواء الحسن) كناية عن نهاية البراعة فيه

المعنى — يقول: انهن قد تنوعت ضروب جمالهن واختلفت فيهن أقسام الحسن والحسنُ في ذاته شيء واحد قد رُمين به جميعاً. وقد أوضح هذا في البيت الذي بعده

(٣) (العصم) جمع أعصم الذى فيه «العُصْمة» بالضم وهي بياض اليدين، والعصماء من المعز البيضاء الذراعين وسائرها أسود أو أحمر. وحرك الصاد اتباعا لحركة العين قبلها

المعنى — بيَّن فى هذا البيت ان اختلافهن بالبياض والسمرة لا ينافي أنهن جميعاً حسان. الا ترى ان الحسن فى الآرام — وهي الخالصة البياض مثل الحسن فى اخواتها التي نهض بياضها فى سوادها وهي العصم؛

وصح تثنية الضمير في قوله «زينتا» لان «او» في البيت للتنويع

يُرَعْن لِلبَصرِ السَّامِي وَمِنْ عَجَبٍ * إِذَا اشْرَنَّ اسَرْنَ اللَّيْثَ بِالْعَنَمِ (١)
وَضَعْتُ خَدّى وَقَسَّمْتُ الفُؤَادَ بِى * يَرْتَعْنَ فِى كُنُسٍ مِنْهُ وَفِي آكَمِ (٢)
يَابِنْتَ ذِى اللِّبَدِ المحْمِيِّ جَانِبُهُ * أَلْقَاكِ فِي الغَابِ أَمْ أَلْقَاكِ فِي الأُطُمِ (٣)

---

(١) (يرعن) يخفن — (العنم) شجرة حجازية لها ثمرة حمراء تشبّه بها البنان المخضوبة

المعنى — يقول انهن يخيفهن ويذعرهن نظرة المحب اليهن ويعجب لهذه الرقة وهذا الخور فيهن مع انهن اذا اشرن الى الليث — وهو اشد الحيوانات واقواها — باطراف البنان المخضوبة فقد ذللنه واسرنه بحسنها ورقتها.

وفى البيت الجناس بين قوله « اشرن » وقوله « اسرن »

(٢) (وضعت خدى) وضع الخد هنا كناية عن الخضوع والاستسلام — (الكُنُس) بضمتين جمع كناس وهو مستقر الظباء فى الشجر — (الآكم) جمع اكمة وهي الموضع يكون اشد ارتفاعا مما حوله

المعنى — يقول : انه اذعن لحبهن ووهب لهن فؤاده وجعله لهن مقيلا وملعبا . يريد تمكن حبهن من قلبه وتفرغه للاشتغال بهن دون كل شيء سواهن

(٣) (اللِّبد) جمع لبدة وهي الشعر المتراكب بين كتفى الاسد — (الغاب) جمع غابة وهي الشجر المتكاثف — (الاطم) القصر وكل حصن مبنيّ بالحجارة

المعنى — التفت الى محبوبته يقول لها : يابنت الرجل الذى هو كالاسد

مَا كُنْتُ أَعْلَمُ حَتَّى عَنَّ مَسْكَنُهُ * أَنَّ الْمُنَى وَالْمَنَايَا مَضْرِبُ الْخِيَمِ (١)
مَنْ أَنْبَتَ الْغُصْنَ مِنْ صَمْصَامَةٍ ذَكَرٍ * وَأَخْرَجَ الرِّيمَ مِنْ ضِرْغَامَةٍ قَرِمِ (٢)

فى بأسه وعزه وامتناع حماه خبرينى اين اقابلك أفى الغاب مسكن الاسود امثال ابيك ؟ أم فى القصر حيث تنزل الغانيات امثالك ؟ ويابعد مابين المنزلين ! . .

(١) عنَّ الشيء بان وظهر ـ (المنايا) جمع المنية وهى الموت

المعنى ـ يريد « بالمنى » محبوبته او لقاءها و « بالمنايا » أباها او لقاءه مبالغة. و« مضرب الخيم » المكان الذى تضرب فيه وتقام اي حيث تنزل تلك المحبوبة فى جوار ابيها . وفى البيت الجناس

(٢) (الصمصامة) السيف — (الضرغامة) الاسد — (القَرِم) شديد الشهوة الى اللحم وهي هنا كناية عن شدة البأس والافتراس
اراد «بالغصن» و«الريم» معشوقته و«بالصمصامة» و«الضرغامة» اباها

المعنى ـ يتعجب من انه كيف يولد لمثل هذا الرجل الشبيه بالسيف فى صلابته ومضائه مثل هذه المعشوقة التى هي كالغصن فى اللدونة ولطف التثنى . وايضا كيف يكون لمن يشبه الاسد فى قوته وسطوته وبأسه مثل هذه التى تشبه الغزال فى رقته وضعفه

(٣) (العفة العذرية) نسبة لقبيلة بنى عذرة اشتهر شبابها بالعشق والعفاف
قيل لفتى من فتيانها كيف يقتلكم العشق وتذهب بنفوسكم الصبابة ؟